مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 171 - 190

الخطاب التراثي عند عبد الرّحمن الحاج صالح

Heritage discourse at Abdul Rahman Al – Hajj Saleh

د. عبد الرّحمن بشلاغم[1]

تاريخ الإرسال: 28 01 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

ملخّص: لقيّ التّراث اللّغوي العربي اهتماماً كبيراً من قِبل اللّسانيين العرب، وحينما نقول تراثا فنحن نقصد الأعمال اللّغويّة التي خلّفها القدماء ويحاول عبد الرّحمن الحاج صالح دراسة هذا التّراث، فينتقي من بين جواهره الموضوعات الهامّة التي يمكن التّوفيق بينها وبين اللّسانيات المعاصرة.

الكلمات المفتاحيّة: منهج، خطاب، تراث، قراءة.

Abstract: The Arabic Linguistic heritage has received a big attention from the Arab Linguists. The term heritage denotes all the Linguistic works produced throughout history. In this respect, “Abdetrrahmane El Hadj Salah” tries to study that heritage by choosing the core topics and the most important issues, which has a direct link with modern Linguistics.

Key words: Methodology, Speech, Heritage, Reading.

1. **مقدمة:** تُعدُّ النّظرية الخليليّة الحديثة أول عمل تراثي يُقدِّمه المؤلّف معالجًا من خلاله أهمّ الأفكار المرتبطة بالنّحو العربي عند نحاتنا العرب القدماء، محاولاً إبراز مواطن الاتفاق بينها وبين الفكر اللّساني الحديث، فضلاً عما تفرّد به علماؤنا القدماء.

[1] جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، البريد الإلكتروني chakirlilniaam@gmail.com

لقد تمخضت عن النّظريّة الخليليّة مجموعة من البحوث والمقالات، عالج عن طريقها جوانب عديدة من التّراث اللغوي العربي، إذ شمل كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة – بجزأين-) موضوعات عدّة تخص النّظريّة الخليليّة الحديثة، منها: (تكنولوجيا اللغة والتّراث اللغوي العربي الأصيل) و(الجملة في كتاب سيبويه)، و(أول صياغة للتراكيب العربيّة: نظريّة العمل العربيّة)، و(التّحليل العلمي للنصوص) و(مستقبل البحوث العلميّة في اللغة العربيّة وضرورة استثمار التّراث الخليلي)، و("تعال نحيي علم الخليل". أو الجوانب العلميّة المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه)، و(دور النّظريّة الخليليّة الحديثة في النّهوض بالبحوث الحاسوبيّة الخاصة باللغة العربيّة). فضلا عن بحوث أخرى تخص النّهوض بمستوى مدرسيّ اللغة العربيّة من خلال النّظريّة الخليليّة الحديثة.

تُشكّل هذه الأعمال الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح وقد حاول المؤلّف جعلها فضاءً برهن عن طريقه على تميّز الفكر اللغوي العربي باختلاف توجّهاته.

وقبل الوقوف على أهم خصائص الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح في تجربته (النّظريّة الخليليّة الحديثة) أود أن أشير بعُجالة إلى (مفهومي المنهج والخطاب)، وأنواع الخطاب وأهم آلياته في التّحليل اللساني العلمي.

2. **الخطاب التّربوي:** الخطاب التّربوي أو التّعليمي هو الخطاب الذي يُعنى بنقل المعارف والمعلومات بشكلٍ بسيط يضمن سهولة اكتسابها من قبل القارئ أو المتعلّم، ويتم ذلك باعتماد منهجٍ واضح يقوم على مجموعة من الوسائل التّبسيطيّة مثل: التّلخيص، التّكرار، المخططات والرّسوم البيانيّة وغيرها.

والهدف الأساسي من الخطاب التّربوي أو التّعليمي هو تيسير بناء الرّصيد المعرفي للقارئ لتأهيله لسبر أغوار تلك المعرفة، والانتقال به من مرحلة

التّخزين إلى مرحلة الإخراج، أي من مرحلة تقبّل المعلومة إلى مناقشتها ونقدها ودحضها أيضاً وعليه يمكننا القول: إنّ للخطاب التّربوي هدفين: قريبٌ وهو التّسهيل، وبعيدٌ وهو التّأهيل فهو يُسهّل المعلومة حتى يؤهل القارئ لإعادة قراءتها في سياق علمي أكثر تعقيداً.

3. **الخطاب التّراثي:** يُعرّف الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح التّراث اللغوي العلمي أنّه "ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمالٍ جليلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علميّة وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الاعجام والنّقط لتصحيح القراءة" [1].

إذ يُشير لفظ (تراث) في الخطاب العربي الحديث والمعاصر إلى ما هو مشترك بين العرب، أي إلى التّركة الفكريّة والرّوحيّة التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعاً خَلَفاً لسلف [2].

وجديرٌ بالذّكر أنّ الجانب الأهم من التّراث هو الأصول العلميّة التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عنِ غيرها [3]. والرّصيد اللغوي القديم الذي خلّفه أسلافنا مادّةً وبحثاً، جزءاً لا يتجزأ من هذا التّراث، وعليه، يُمثّل (التّراث اللغوي) مجموع المنتجات الفكريّة القديمة المتعلّقة بتحليل الظّواهر اللغويّة بشكلٍ عام وظواهر اللغة العربيّة بشكلٍ خاص [4].

نخلص من هذه التّقسيمات إلى أنّ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح قد وقف عند هذه الأنواع من الخطاب، إذ كان خطابه تراثياً فضلاً عن جمعه بين الخطاب العلمي والتّربوي فضلاً عن اللساني، إذ نلحظه - في المباحث السّابقة- يقيم موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به من بحوث فضلاً عن أنّ الخطاب العلمي يفترض اعتماد معجم خاصٍّ ينبع من صميم التّخصص كما تتميز الصّيغ والتّراكيب بوضوحها وقيامها على دقة القصد والإشارة المباشرة للمعنى.

هذه هي لمحة عن الخطاب اللساني المعاصر، فضلاً عن أهم تقنيات التّحليل التي يُمكن اعتمادها في دراسة الخطاب اللساني، والتي يمكن تلّمسها عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح من صلب المادة المطروحة - النّظريّة الخليليّة الحديثة- من قبلِ المؤلّف والتي تدور حول تحليل الخطاب التّراثي عنده، وبنيّة الخطاب فضلاً عن لغة الخطاب التّراثي التي اعتمدها الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح.

4. تحليل الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح:

1.4. **من حيث الموضوع:** يجمع الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بين شكلين من التّفكير اللغوي: التّفكير اللغوي العربي القديم والتّفكير اللساني الحديث. وسعيّاً منه إلى التّوفيق بين التّفكيرين، يُقدم المؤلف بعض القراءات المتنوّعة بتنوّع مجالات البحث اللغوي.

يُقسّم الدّكتور مصطفى غلفان القراءات التّراثيّة على ثلاثة أصنافٍ أساسيّة [5]:

1) قراءة شموليّة؛
2) قراءة قطاعيّة؛
3) قراءة النّموذج الواحد.

فيما يخص القراءة الأولى، تُقدّم تجربته (النّظريّة الخليليّة الحديثة)، قراءة شموليّة لجميع مستويات اللغة (الصّوت، الصّرف، النّحو، الدّلالة)، إذ يعرض أفكار وآراء علمائنا القدماء ثم يوازنها مع ما يماثلها في التّفكير اللساني الحديث. فقد أسس النّظريّة الخليليّة مستنداً إلى تحليلات اللغة، طبقاً للمستويات أو المراتب الآتيّة [6]:

المستوى (6)	↑	الحديث أو الخطاب
المستوى (5)	↑	أبنيّة الكلام أو البنى التّركيبيّة
المستوى (4)	↑	اللفُظات (جمع لفظة)
المستوى (3)	↑	الكَلِم أو الكلمات
المستوى (2)	↑	الدّوال
المستوى (1)	↑	الحروف
المستوى (0)	↑	الصّفات المميزة

وانطلق العلماء في تحليل اللغة من مستوى اللفظة Lalexie وهو "المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظيّة والواحدة الإعلاميّة أو الإفاديّة". ثم يبدأ المستوى (0) الذي يخص الصّفات المميزة المتمثلة في المخارج من الحلق إلى الشّفتين، والصّفات مثل الجهر والهمس والغنة وغيرها [7].

ثم يتدرج إلى المستوى الأول كما تدل العلامة ↑ المتمثل في الحروف، فقد اقتصرت العربيّة على ثمانيّة وعشرين حرفاً وستة أصوات (حركات وحروف مد). وتتركب الحروف في وحدات أخرى حسب مقاييس وقوانين مضبوطة لتكوّن المستوى الثّاني المتمثل في (الدّوال) أو العناصر الدّالة وهي أربعة:

أولا: المادة الأصليّة المكوّنة من حروف المعجم مثل: (ض.ر.ب)؛

ثانيا: الوزن أو الصّيغة المتمثلة في القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصليّة؛

ثالثاً: حروف المعاني وهي جملة الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيها معنى إضافياً غير المعنى الأصلي لهما، ويُعرّفها الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بأنها: "كلمة محسوسة بنيت بناءً لازماً وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال وقد يقوم بعضها مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى

والإفادة، فتُعدّ في أحد هذين القبيلين إلا أنّها تبنى بناءً لازماً كالأدوات الأخرى وذلك مثل الضّمير واسم الإشارة والاسم الموصول" [8]؛

رابعاً: العلامة العدميّة أو ترك العلامة كما سماه العرب القدماء، ويتمثل في غياب اللفظ الدّال فيما يحقق من الكلام وتتجلى عند مقابلة القطع اللغويّة بعضها ببعض، وذلك مثل: طويل (للمذكر)، وكتبت (للمتكلم) وطويلة (ـة التّأنيث) وكتب (Ø للغائب) [9].

وأما المستوى الثّالثّ من التّحليل فيبنى على المستويين السّابقين ويتمثل في (الكَلِمْ) وتندرج فيه الأسماء والأفعال، وقد عرّف سيبويه الوحدات في هذا المستوى بقوله: "فالكَلِم اسم وفعلٌ وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" [10].

إنّ الكَلِم نوعان: متمكن يتمثل في الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدّلالة على معناها، وغير متمكن ويتمثل في حروف المعاني والأفعال النّاقصة وغير المتصرفة والأسماء المبنيّة؛ فالكَلِم المتمكنة يبتدئ بها ويوقف عليها؛ لأنّها تنفرد بنفسها في مدرج الكلام وتتركب من أصل وصيغة وأما غير المتمكنة فتحتاج إلى غيرها من الكلم وينعدم فيها الأصل والصّيغة" [11].

أما مستوى التّحليل الخاص باللفظة فينتظم انتظاماً معقداً، يقول عنه الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح:" إنّ الكلم... لا تنتظم في الكلام على مثل الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين وأكثر النّحاة المتأخرين، فإن الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكَلِم مجردة من لوازمها بل هي وحدات يندمج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوماً من أدوات مخصصة به ثابتة وغير ثابتة (على صورة دخول وخروج) يسمى عند نحاتنا القدامى بالتّعاقب، بل ومن وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه، وذلك مثل المضاف إليه والتّركيب المسمى بالصّلة والموصول والصّفات وحتى الأبنيّة المسماة - من حيث الإفادة فقط- جُمَلاً [12].

وعلى هذا الأساس فإن عبارات: الكتاب، كتابُ التّلميذ، بالكتاب، الكتاب المفيد الذي اشتراه التّلميذ أمس... الخ، تُعدُّ بمنزلة الكلمة الواحدة وهي التي سماها الرّضي الاسترباي "لفظة" [13] لا كلمة. ومن هذا المفهوم عندهم [14]. تكون اللفظة بهذا عبارة عن مجموعة من الكلمات "كالاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد" [15]، كما قال سيبويه: "فأما النّعت الذي جرى على النّعوت فقولك: مررتُ برجلٍ ظريف، فصار النّعت مجروراً مثل المجرور لأنّه كالاسم الواحد... أما لا النّافيّة للجنس واسمها فجُعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد" [16].

أما المستوى المتعلق بأبنيّة الكلام فيعني التّراكيب والجمل وهو أعلى من اللفظة ويبحث عن المثال المجرد الذي يبنى عليه أقل الكلام المركب وذلك بحمل كلام على آخر من جنسه [17].

بمعنى أنّ الانطلاق في التّحليل اللغوي يتم من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما فوق اللفظة لاكتشاف البناء أو الأصل، "بل يتجاوز ذلك إلى مستوى أكثر تجريداً وهو مستوى العامل وهو العنصر اللغوي الذي يتحكم في التّركيب فيعمل فيه الرّفع والنّصب، وهو الذي يحدد العلامات الإعرابيّة في التّركيب" [18].

وقد أوجز الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح أبنيّة الكلام في العربيّة بقوله: "إنّ أصغر ما يُبنى عليه الكلام يتكون دائماً من عامل (ع) ومعمول أول (م1) ثم معمول ثانٍ (م2) [19]. وهكذا يُعدُّ العامل أو العمل النّحوي الفكرة الجوهريّة التي تأسست عليها نظريّة النّحاة العرب... فكل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنّما يجئ تبعاً لعامل في التّركيب، فلا تجد معمولاً إلا وتصور له العلماء العرب الأوائل عنصراً لفظياً أو معنوياً هاماً هو العامل الذي يكوّن مع معموله زوجاً مرتباً Coupleodonne.[20]

وأما المستوى الأخير من التّحليل فيتعلق بالحديث أو الخطاب وهو أعلى ما يمكن أن يصل إليه التّحليل، فقد كان للخليل وسيبويه والعلماء العرب الذين جاءوا بعدهما نظريّة لغويّة متميزة فرقوا فيها بين النّظرة إلى الكلام بعده خطاباً والنّظرة إليه بعده بنيّة ومن أهم المبادئ التي بُنيت عليها هذه النّظريّة التّمييز الصّارم في تحليلهم للغة بين جانبها الوظيفي وهو الإعلام والمخاطبة، أي تبليغ الأغراض المتبادلة بين متكلم ومُخاطب، وبين جانبها اللفظي الصّوري، أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بغض النّظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدّلالة اللفظيّة [21]. فضلاً عن أنّ اللغة وضع واستعمال أي نظام من الأدلة المتواضع عليها واستخدام لهذا النّظام وليست نظاماً فقط ينظر فيه الباحث دون أن يُفكر في كيفيّة استخدام المتكلّم له كوسيلة تبليغ أولاً وكوسيلة اندماج في واقع الحياة ثانياً [22]. فاللغة عبارة عن مجموعة منسجمة من الدّوال والمدلولات ذات بنيّة عامة ثم بُنى جزئيّة وهذا يسمى الوضع، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغويّة وعلاقاتها الرّابطة وبين العمليات المُحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي، أما الاستعمال فهو كيفيّة إجراء النّاطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فيختار المتكلم ما يحتاج من الدّوال للتعبير عن أغراضه فيُميّز بين ما هو راجع إلى القياس وبين ما هو راجع إلى الاستعمال؛ بمعنى أنّه يستعمل اللغة بحسب ما تقتضيه أحوال الخطاب؛ لأن قوانين الاستعمال هي قوانين الوضع أو القياس ولذلك فإن اللفظ والمعنى في الوضع يختلفان عنه في الاستعمال [23].

وبخصوص القراءة الثّانيّة التي تُركّز على (القطاعيّة)، فأعتقد أنّ بحثه الموسوم بـ (الجملة في كتاب سيبويه) [24] يُمكن تصنيفه ضمن هكذا نوع من القراءة؛ وذلك لأنه لا يعالج قطّاعاً بأكمله - وهو المستوى النّحوي – بل يعالج أفكاراً جزئيّة فيه: هي الجملة عند سيبويه، والتّمييز بين الكلام كخطاب وكبنيّة [25].

ومن أجل ذلك أقترح تسميتها بالقراءة الجزئيّة أو التّفصيليّة، التي تتمحور حول نقطة جزئيّة في قطاع عام أو نظريّة خاصة وهي: النّظريّة الخليليّة الحديثة.

أما ما يخُص القراءة التي تركّز على النّموذج الواحد، فيُقدِّم الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بحثاً - ضمن بحوث النّظريّة الخليليّة الحديثة- بعنوان: (أقائم أخواك وطريقة تفسيره عند سيبويه والرّضي بالاعتماد على مفهوم الموضع والمثال) [26]، يعرض من خلاله أهم الأفكار التي يطرحها العالمان الجليلان - سيبويه والرّضي- بالتّفصيل ومشيراً إلى ما اتّفق منها مع التّفكير اللساني الحديث، وما يفترق عنها، إذ إنّ (مفهوم الموضع) لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربيّة إطلاقاً [27]؛ والسّبب في ذلك أنّ التّحليل عندهم يقتصر فقط على ظاهر الكلام أي على اللّفظ المسموع وحده كما هو الشّأن عند البنيويين، والنّحاة العرب ينطلقون - أيضاً- من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون الكلام جملة والقطعة بعد القطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق بينهما من حيث صفاتها الذّاتيّة بل يحملون هذا النّحو على ذلك... والمثال النّاتج عن هذا الحمل هو الصّورة الجامعة [28].

ويُورِد الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بحثاً آخر - ضمن بحوث النّظريّة الخليليّة الحديثة- بعنوان: (تعال نحيي علم الخليل أو الجوانب العلميّة المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه) [29]، إذ تعرض المؤلّف فيه إلى عرض موضوعات ذكرها في موضوعات ذكرها في مواضع سابقة [30]، فضلاً عن إنّه بيّن ما للخليل من "تصور علمي وأدوات تحليليّة لا يضاهيها في القيمة العلميّة إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا، وذلك لا من النّاحيّة المنهجيّة فقط، بل أيضاً من النّاحيّة المنهجيّة التّجريبيّة منها والنّظريّة" [31].

وقد ذكر أنّ النّحو العربي الأصيل في جوهره إجرائي وقصد بذلك: "أنّه يُحدّد ويولّد في الوقت نفسه الكيانات النّحويّة بتحديد كيفيّة حصولها

وتحقيقها، ويتم ذلك بحصر الأصول أولاً ثم بتفريع الفروع على الأصول مع إمكانيّة ردّ الفروع إلى أصولها" [32]. فالاسم - مثلاً- يبحث فيه النّحوي أولاً عن أقل ما يمكن أن ينطق به من اللفظ ويكون في الوقت نفسه كلاماً مفيداً مثل (كتاب)، فهذا أصل يمكن أن تفرع عليه فروع بعمليّة تسمي الزّيادة، وهو تحويل في اللسانيات التّحويليّة التّوليديّة [33]، وهكذا يتمحور العمل التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح حول ثلاثة موضوعات قرائيّة، نلّخصها في الجدول الآتي [34]:

نوع القراءة	العمل التّراثي
قراءة شموليّة	- المدرسة الخليليّة الحديثة والدّراسات اللسانيّة الحاليّة في الوطن العربي. - المدرسة الخليليّة الحديثة ومشاكل علاج العربيّة بالحاسوب.
القراءة القطاعيّة	- الجملة في كتاب سيبويه.
قراءة الانموذج الواحد	- "أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيبويه والرّضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال. - "تعال نحي علم الخليل" أو الجوانب العلميّة. - المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه.

مما تقدّم يتضح لنا أن الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح لا يكتفي في أعماله التّراثيّة بالمعالجة العامة، بل يعمد إلى المسائل الدّقيقة فيحلّلها ويستخلص أهم ما تقوم عليه من مبادئ بما اتّفق معها في النّظريات اللسانيّة الحديثة.

إنّ هذا المنطلق يدل على أنّ المؤلّف لا يستند في أعماله على إخضاع التّراث اللغوي لتيار لساني محدّد، فلم يَقُلْ إنّ التّراث اللغوي العربي بنوي أو توليدي بل يحاول طرح المفاهيم ومقابلتها بما شابهها سواء أكان بنوياً أم توليدياً أم غير

ذلك. وبذلك تُصبح الموازنة لديه موازنة مفهوميّة جزئيّة، لا موازنة نظريّة عامة. وهذا يعني أنّه يتجنب إصدار الأحكام العامة التي تُخضع التّراث اللغوي العربي لتيار لساني محدد بل يحاول تناول الموضوعات بدقة موضوعيّة وعلى وفق منهجيّة علميّة يزواج بين القدماء العرب واللسانيات الحديثة.

2.4. **من حيث المنهج:** تُعدُّ دراسة التّراث وربطه بالفكر اللساني الحديث عمليّة دقيقةً وصعبة التّحقيق خاصةً وأنّ تراثنا اللغوي العربي يتميّز بضخامة حجمه المبعثر في بطون الكتب العلميّة المتعدّدة الاتجاهات، لذا تأخذ عمليّة دراسته بعدين:

البُعد الأول: جمع نتاجه وحصر مادّته لتفسيرها وفهم أبعادها.

البُعد الثّاني: وضعه الصّحيح من الدّراسات اللسانيّة الحديثة.

إنّ عملاً ضخماً كهذا، يستدعي جُهداً لا يمكن أن تغطيه تلك الجهود الفرديّة المبذولة من قبلِ بعض اللسانيين، ولبلوغ ذلك يُشير الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح إلى ضرورة تضافر مجهودات اللسانيين العرب لتغطيه أكبر عددٍ ممكنٍ من اللغويين العرب، ودراسة أهم القضايا المتطوّرة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثَمَّ ربطها بالتّراث اللغوي العالمي [35].

وكغيره من اللسانيين المعاصرين، اهتم الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بدراسة التّراث اللغوي العربي، مُقدّماً عدداً من المحاولات لكشف ذلك التّقارب القائم بين التّفكيرين، وللردّ على التّهميش الذي شهده التّراث اللغوي العربي في مسيرة التّأريخ للسانيات، إذ لا نبالغ إذا قلنا: إنّ هناك ظلماً طال التّراث اللغوي العربي في هذا المجال [36].

إنّ محاولة العودة إلى الأعمال التّراثيّة التي قدّمها المؤلف تُبرهن على صحة ما ذهب إليه، إذ إنّه اتخذ وضعاً وسطياً، فهو لم يتقوقع في التّراث عازلاً إيّاه عن مستجدات البحث اللساني العالمي، وفي المقابل لم ينسلخ عن هذا التّراث، منجرفاً

وراء اللسانيات الحديثة وما تحتويه نظرياتها ومناهجها، فضلاً عن إنّه لم يكتفِ بعرض أفكار القدماء، ولا منهجهم في الدّرس اللغوي، بل سعى في أكثر من موضع إلى مقارنة هذه الآراء بآراء المحدثين، وإظهار نسبة التّقارب القائمة بينها.

ويُعبّر المؤلّف عن هذا المنهج قائلاً: "إنّ أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا التّحليل... هو التّناسب الوضعي الذي يوجد علم اللسان الحديث وبين علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري... فهذا التّناسب لجدير بالدّراسة [37]. إذاً يتضح لنا مما تقدّم أنّ المنهج الذي تبناه الدّكتور الحاج صالح في عمله التّراثي هو (التّوافقي) فضلاً عن كونه (مقارنة)، وهو ذات المنهج الذي يعتمده أغلب دراسي التّراث العربي [38]، وإنْ كانوا لحدٍّ الآن غير متفقين على أُسسه وخطواته العامّة. يتبادر إلى الذّهن سؤال، أين تكمن مواطن الإبداع في منهجيته المعتمدة في تحليل الخطاب التّراثي في النّظريّة الخليليّة الحديثة؟ بصيغةٍ أخرى، هل يُمكننا عدّ الخطاب التّراثي في النّظريّة الخليليّة الحديثة خطاباً أصيلاً؟

يرتبط مفهوم الأصالة - هنا- بمجموعة الصّفات أو المميّزات الخاصة بالخطاب التّراثي، كما تمثّلته تجربة الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح، من حيث طريقته في معالجة ما اختار من التّراث العربي، وما تعلّق بهذه المعالجة، من مفاهيم ومبادئ ومصطلحات. وهو ما يقودنا إلى تحديد معالم النّموذج المقترح من قبله في دراسة وإعادة بث التّراث اللغوي العربي من جديد، وفي هيئةٍ جديدة بهدف استثمار أفكاره في بناء صرح لسانيٍّ عربيٍّ يتسم بالأصالة والتّجديد في الوقت ذاته.

وتتحدد الأصالة بنظر الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح من خلال قوله: "أن يكون الشّيء أو الإنسان مبدعاً مهما كان عصره أي أنّ لا يكون نسخة لغيره بالنّسبة إلى الأفكار التي ينتجها، فالأصيل هو من ليس نسخةً لغيره مهما كان الزّمان، وقد تكون أصالة في زمنٍ قديم وقد تكون أصالةً في زماننا هذا، وقد يكون

الرّجل فريداً من نوعه في ميدانٍ خاصٍ أو استعماله لبعض الوسائل العقليّة [39]. وهذه الأصالة التي ذكرها المؤلّف وجدناها بوضوحٍ تام في النّظريّة الخليليّة الحديثة، فقد تفرّد في طرح الموضوعات فضلاً عن اختلاف هذا الطّرح في كل مرة، وباختلاف الطّروحات تُكْتَشَف أشياء جديدةٍ وهذا الاكتشاف هو ما يُمكننا وصفه بالأصالة.

فقد تَميّز طرح الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بخصائص قَلَّ التّطرق إليها عند غيره من الباحثين العرب، إذ إنّ عودة المؤلِّف إلى التّراث اللغوي العربي وسعيه إلى تعريف الآخر به، أول عنصر دال على أصالة الخطاب عنده، فهو على الرّغم من دراسته للسانيات الغربيّة، ومحاولاته الجادّة لجعلها مقوّماً من مقوّمات ثقافة العربي، فإنّه لم يتوقف عندها، وكأنّها شيءٌ من نوعه، لا سابق له ولا مثيل.

لقد أوضح مؤلّف النّظرية الخليليّة الحديثة من خلال عمله هذا، سعيه لربط الماضي بالحاضر، وإظهار استمراريّة الفكر اللغوي؛ لأنّ اللغة متطورة أبداً واللغوي الحق هو الذي يجري وراء اللغة يتتبع مسيرتها ويفقه أساليبها [40]، وما قدّمه الحاج صالح دليلٌ قاطع على أنّ اللغة متطورة، فقد تفرّد علماؤنا القدماء بآرائهم الدّقيقة والعلميّة لدرجة تجعلها تضاهي أفكار المحدثين. فبعد تقديمه مفهوم (اللفظة) في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة) [41]، يخلص إلى أنّ هذا المفهوم لم يذكره اللّسانيون الغربيون واقترح ترجمتها (Lexie) [42].

وعالج مفهوم (الموضع) وقارنها بما هو موجود في اللسانيات البنويّة والتّوليديّة التّحويليّة [43]، وخَلّص إلى أنّ هذا المفهوم (الموضع والمثال) لا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربيّة إطلاقاً [44].

فأصالة الخطاب عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح تبرز في اعتماده المطلق على أقوال القدماء، فهو يعتمد منهجاً قوامه طرح الأدلة الفعليّة المستقاة

من أقوال القدماء، فهو ينتهج منهجاً واحداً، قوامه الموازنة بين آراء القدماء وآراء المحدثين في المفاهيم والأُسس.

5. **الخاتمة:** إنّ النّظريّة الخليليّة الحديثة قامت في ذهن مؤلّفِها بعد القراءة المتأنيّة الدّقيقَة لمفاهيم النّحو العربي، ثم سعى عن طريقها إلى إعطاء منهج حداثي لدراسة نحو العربيّة، فضلاً عن سعيه إلى ترسيخ مبادئها بإعطائها ما يُميزها من مفاهيم ومصطلحات وطرق تحليل خاصة بها على غرار ما تُعْرَف به النّظريات اللسانيّة الحديثة. وفي هذا المجال فإنّ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح وقف مع الكثير من المفاهيم والمصطلحات النّحويّة العربيّة الأصيلة والتي استغلق فهمها عند بعض الباحثين أو أُسْقِطَ عليها مفاهيم أرسطيّة فطُمِسَ معناها، فحاول تصحيح هذه الرّؤيّة وبيان ما فيها من العلميّة والدّقة المتناهيّة إذا فُهِمَت على أصلها الذي وُضِعتْ له.

ويمكن أن نُقسِّم منهج الحاج صالح الحداثي على مستويين:

الأوّل: مستوى المفاهيم: ويتجلى من خلال إحياؤه للمفاهيم والمصطلحات العربيّة الأصيلة، وكشفه عن دلالاتها الحقيقيّة، والتي جاءت بمنهجيّة وعلميّة مستقلة عند النّحويين القدماء، والتي تصلح أن تكون مبادئ لنظريّة لغويّة نحويّة.

والثّاني المستوى التّقني: استثماره لهذه المفاهيم ودلالاتها الحقيقيّة بصورة عمليّة في تطوير هذه اللغة، وضمان حيويتها واستمراريتها [45].

فهو في منهجه هذا يمتلك إبداعاً لغوياً جديداً، استخدم فيه قوة ذهنيّة كبيرة وعلميّة بأنّ وضع المفاهيم في موضعها الصّحيح، وهذا راجع إلى طبيعة دراسته للرياضيات فضلاً عن المناهج اللسانيّة الحديثة، واطلاعه على علوم الفلسفة، والمنطق والحاسوب.

6. قائمة المراجع:

1) الاسند باذي، "شرح كافيّة إبن الحاجب"، تر: أحمد السّيد أحمد، المكتبة التّوفيقيّة القاهرة، د.ط، د.ت، ج1.

2) حافظ إسماعيل علوي، وليد أحمد العناتي، "أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات"، الدّار العربيّة للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرّباط، ط1 2009.

3) خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، دار القصبة للنشر، حيدرة الجزائر ط2، 2006.

4) سيبويه، "الكتاب"،تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، بيروت، لبنان،ط3 ج1.ص164

5) عبد الرّحمان الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، موفم للنشر الجزائر 2007م، ج1- 2.

6) عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة، الجزائر، 2016م.

7) عبد الرّحمن الحاج صالح، "الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربي"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة الرّغايّة، الجزائر.

8) عبد الرّحمن الحاج صالح، "السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2011م.

9) عبد الرّحمن الحاج صالح، "أنماط الصّيّاغَة اللّغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة الحديثة"، مجلّة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الأبيار، الجزائر، العدد 24، 2016.

10) عبد الرّحمن، "النّظريّة الخليليّة الحديثة – مفاهيمها الأساسيّة – مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة"، بوزرّيعة، الجزائر، العدد التّراجع 2007.

11) محمد عابد الجابري، "التّراث والحداثة"، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1 1991.

12) مصطفى غلفان، "اللّسانيات العربيّة الحديثة – دراسة نقديّة المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة، منشورات كليّة الآداب، الدّار البيضاء، 1998م.

13) مهدي المخزومي، "في النّحو العربي نقد وتوجيه"، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة بغداد، ط2، 2005.

14) ميشال زكرياء، "الملكة اللّسانيّة في مقدّمة ابن خلدون"، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1986.

15) نشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللّسانيات الخليليّة الحديثة"، مجلّة العلوم الإنسانيّة جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السّابع، 2005م.

7. الهوامش:

[1]عبد الرّحمن الحاج صالح، "السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، موفم للنشر الجزائر د.ط، 2011م، ص:07.

[2]محمد عابد الجابري، "التّراث والحداثة"، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص:24.

[3]ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحّة"، ص: 07.

[4]حافظ إسماعيل علوي، وليد أحمد العناتي، "أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات"، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، دار الأمان الرّباط، ط1، 2009، ص: 123- 124.

[5]مصطفى غلفان، "اللّسانيات العربيّة الحديثة – دراسة نقديّة المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة منشورات كليّة الآداب، الدّار البيضاء، 1998م، ص: 136- 137.

[6]نشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللّسانيات الخليليّة الحديثة"، مجلّة العلوم الإنسانيّة جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السّابع، 2005م، ص:17.

[7]عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة"، ج1، ص: 324.

[8]عبد الرّحمان الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 191.

[9]المرجع نفسه، ص: 191.

[10]خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، ط2، 2006 ص: 96- 97.

[11]سيبويه، "الكتاب"، تر: عبد السّلام هارون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان....، ج1، ص.....

[12]ينظر: عبد الرّحمان الحاج صالح، "البحوث ودراسات في علوم اللّسان"، ص: 192- 193.

[13]المرجع نفسه، ص: 192.

[14]الاسند باذي، "شرح كافيّة إبن الحاجب"، تر: أحمد السّيد أحمد، المكتبة التّوفيقيّة، القاهرة، د.ط د.ت ج1، ص:12.

[15]عبد الرّحمن، "النّظريّة الخليليّة الحديثة – مفاهيمها الأساسيّة – مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة"، بوزرّيعة، الجزائر، العدد التّراجع، 2007، ص: 32.

[16]سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 421.

[17] المصدر نفسه، ج2، ص: 274، 276.

[18] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص: 326.

[19] خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، ص:100.

[20] عبد الرّحمن الحاج صالح، "أنماط الصّيّاغَة اللّغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة، الحديثة"، مجلّة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الأبيار، الجزائر، العدد 24، 2016، ص: 22.

[21] عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة الجزائر، 2016م ص: 132- 133.

[22] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص91.

[23] ينظر: المرجع نفسه، ج2، 90.

[24] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، ص: 190.

[25] عيسى مومني، "بيبلوغرافيا اللسانيات..."، ص54.

[26] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة" منشورات المجمع الجزائري للغة العربية"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة الرّغايّة، الجزائر ص: 17.

[27] ينظر: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج2، ص: 9- 22.

[28] المرجع نفسه، ج2، ص 21.

[29] ينظر: " بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية"، ج2، ص:22.

[30] ينظر: المرجع نفسه، ص: 58- 59.

[31] كموضوع الأصل والفرع مثلاً.

[32] المرجع نفسه، ج2، ص: 59.

[33] المرجع نفسه، ج2، ص:78.

[34] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربية"، ص: 91.

[35] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية"، ج2، ص: 9- 58.

[36] عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة"، ج1، 100،101.

[37] ينظر: ميشال زكرياء، "الملكة اللّسانيّة في مقدّمة ابن خلدون"، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1986، ص: 07.

[38] عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسانيات"، ص:10.

[39] عبد الرّحمن، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج1، 11.

[40] المرجع نفسه، ص: 12.

[41] ينظر: مهدي المخزومي، "في النّحو العربي نقد وتوجيه"، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط2 2005، ص: 22.

[42] ينظر: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج1، ص: 219.

[43] المرجع نفسه، ج1، ص: 219.

[44] المرجع نفسه، ج2، ص11.

[45] المرجع نفسه، ج2، ص: 21- 22.